*صور من التعبير بالبدل*

*بحث في النحو*

*إعداد/ منى السيد عوض إبراهيم*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*Mona\_aoud@yahoo.com*

***خلاصة—هذا البحث يبحث في صور من التعبير بالبدل.***

*الكلمات المفتاحية: العطف، المجرور، الضمير.*

# ***المقدمة***

*معرفة أسس صور من التعبير بالبدل،*والعرب تعرف البدل من المرفوع، وهو مرفوع. وتعرف البدل من المنصوب، وهو منصوب. وتعرف البدل من المجرور، وهو مجرور. إلا أنه جرت عادتهم أنهم: إذا أبدلوا من المجرور أعادوا الجار، وهذا له علاقة بالعطف على الضمير المجرور، يقولون، خصوصًا أهل البصرة: لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، لكن الكوفيين لا يشترطون ذلك، وقد زكى مذهبهم ابن مالك، واستشهد له بما يقويه *.*

1. *المقالة*

العربي الجيد في أسلوب سيبويه:

قال: فأما الأول فجيد عربي، وأما الأول الذي هو جيد عربي، الذي بدأ به حين قال: وتقول رأيت زيدًا أباه لا يجوز أنَّ يكون الأب غير زيد، هذا هو الذي يقصده سيبويه بقوله: فأما الأول. مثله قوله : {ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ} [آل عمران: 97] قال سيبويه: لأنهم من الناس، فكأنه لله على الناس، أي: لله على من استطاع، وكأن سيبويه كان في ذهنه وفي قلبه، أن يقرأ القرآن الكريم، وأن يستخرج البدل، وأن يضم النظير إلى النظير، وأن ينبه إلى الفروق بين الآية والآية في الموضع الواحد، فأتى إلينا بما ذكره ابن مالك في شرحه على (التسهيل)، وبما ذكره السيوطي في (الهمع) وبما ذكره الرضي، وبما ذكره الأشموني، وبما ذكره أكثر الناس في الإبدال من المجرور، على وجه الخصوص.

والعرب تعرف البدل من المرفوع، وهو مرفوع. وتعرف البدل من المنصوب، وهو منصوب. وتعرف البدل من المجرور، وهو مجرور. إلا أنه جرت عادتهم أنهم: إذا أبدلوا من المجرور أعادوا الجار، وهذا له علاقة بالعطف على الضمير المجرور، يقولون، خصوصًا أهل البصرة: لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، لكن الكوفيين لا يشترطون ذلك، وقد زكى مذهبهم ابن مالك، واستشهد له بما يقويه، وأعلى ما يقويه قراءة حمزة: "وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ" عند أهل البصرة لا يجوز أن تقول: مررتُ بك وزيد. وإنما لا بد أن تقول: مررت بك وبزيد. أي: لا بد أن تعيد الجار الذي تريد أن تعطف بسببه الاسم المجرور، أو الضمير على ضمير مجرور لا يجوز البتة عند أهل البصرة أن تعطف على الضمير المجرور إلا إذا أعدت الجار، سواء أكان الجار حرف جر أو كان اسمًا.

يعني إذا قلت: هذا كتابك صار الضمير مجرورًا. لا بد أن تقول: وكتاب زيدٍ. يعني: لا بد أن تعيد الجار. والجار: المضاف بالنسبة إلى المضاف إليه؛ فإذا كان الضمير المجرور مجرورًا بحرف؛ كـ مررت بك، أو مررت به، تقول: وبزيد. يعني: تعيد حرف الجر الذي هو الباء، لا تجوز أبدًا عند البصريين هذه المسألة إلا على هذا الشرط، وسيبويه يستطرد إلى قوله تعالى: ومثله إلا أنهم، انظر إلى استحضار الآيات في ذهن سيبويه إلى وجود القرآن في قلبه، وإلى وجود مدده بين بنانه في قلمه، ومثله إلا أنهم أعادوا حرف الجر: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ} [الأعراف: 75] انظر لم يقل هنا: قال سبحانه وتعالى. ولم يقل: قال الله -جل ثناؤه- كما تعود أن يقول في كثير من المواضع. وإنما قال: ومثله إلا أنهم أعادوا حرف الجر، يعني: الذي لا عهد له بالقرآن حين يقرأ قول سيبويه: إلا أنهم أعادوا حرف الجر يفهم أن هذا من كلام العرب، ربما كان لسيبويه عذر، وهو أن نظم الآية على غير المعهود من نظم البشر {ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [الإسراء: 88] فلم يقل: قال -جل ثناؤه- ولم يقل: قال الله ، لما كان النظم فيها ظاهرًا، وكانت آيات الإعجاز فيها واضحة.

إلا أني كما ذكرت: إنَّ الذين كانوا يكتبون إنَّما كانوا يكتبون لأقوام يحفظون كلام الله ويخاطبون أقوامًا يعملون كلام الله {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ} فالشاهد في الآية هي: الإبدال من المجرور بإعادة حرف الجر، تمامًا كالمسألة التي فيها: قلت لك: لا يجوز العطف على ضمير المجرور إلا بإعادة الجار، سواء أكان هذا الجار حرفًا أم كان اسمًا، كالمضاف. هذا الذي ذكره أهل البصرة ومنعوه. وأجازه الكوفيون ووافقهم ابن مالك ذكره سيبويه هنا، ولكن على سبيل الإبدال من المجرور. والإبدال من المجرور بإعادة حرف الجر.

{ﭴ ﭵ} بدل من {ﭲ ﭳ} إذن الذين استضعفوا: الذين: مجرور باللام، أو محل جر، ومن: أيضًا مجرور باللام. وابن مالك في شرح التسهيل قد زاد بيانًا وزاد تفصيلًا، وجعلها مسألة جميلة، وقال: إن ذلك إبدال على إعادة الجار، وذكر في بداية المسألة أن البدل من المجرور يكون في الأعم الأغلب على إعادة حرف الجر.

بعت متاعك أسفله قبل أعلاه:

يقول سيبويه: ومن هذا الباب: قولك: بعتُ متاعَك أسَفَله قبل أعلاه. واشتريتُ متاعَك أسفَلَه أسرَعَ من اشترائي أعلاه.

وانتبه إلى قول سيبويه: بعت متاعك أسفله. هيهات أن يعود الضمير في أسفله، على شيء غير متاعه. القاعدة التي ذكرها في أول هذا البيت، والتي قال فيها: لا يجوز أن يقال: رأيت زيدًا أباه، والأب غير زيد. كذلك لا يجوز أن يقال هنا: إن أسفله، أي: أسفل شيء غير المتاع، العلاقة هنا موجودة، وقد نبهت، من أن الضمير هو خير رابط وخير عائد، وسقيت إبلًا صغارها أحسن من سقيي، كبارها كأنه يشير إلى ما ذكره:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فَأَورَدَها العَراكَ (والعِرَاك) وَلَم يَذُدها | \* | وَلَم يُشفِق عَلى نَغَصِ الدِخالِ |

لأن الراعي الذي كان يرعى الإبل وهو معتاد رعيها وإيرادها مواضع الماء، كان خبيرًا يفصل الصغير عن الكبير، حتى لا يدوس الكبير الصغير؛ فلما غاب وجاء عبد آخر لا عهد له بسقيها خلط صغيرها بكبيرها، ولم يكن ذا شفق على النغص والدخال التي دخلت بين الكبار؛ فتسبب لها من الأذى الكثير، قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فَأَرْسَلها العِراكَ وَلَم يَذُدها | \* | وَلَم يُشفِق عَلى نَغَصِ الدِخالِ |

وهو من الوافر.

قال سيبويه: وسقيت إبلك صغارها أحسن من سقيي كبارها؛ لأنه يترفق بها، وضربت الناس بعضهم قائمًا وبعضهم قاعدًا، كل هذا الاستطراد من الأمثلة يدل على أن سيبويه -رحمة الله عليه- يريد أن يقول: كل ذلك من البدل وإن أتى بالحال بعده، وإن أتى بإضافة المصدر بعده، لكن كل ذلك من واد واحد، والوادي الواحد أن جميع ما سبق إنَّما هو من باب البدل، الذي تبدو فيه العلاقة واضحة بين البدل وبين المبدل منه؛ لأن ما ذكرت بعده ليس مبنيًّا عليه؛ فيكون مبتدءًا، انظر إنَّما المبني عليه الأول.

دائمًا يربط سيبويه كلامه بعضه ببعض؛ لأنك إن لم تفهم العنوان؛ فلن تفهم هذا السطر أبدًا، أنت إذا فهمت العنوان، أن الكلام مبني بأنك استدعيت فعلًا فأعملته في اسم، وبنيته عليه، ثم بدا لك أن تضع مكان هذا الاسم اسمًا آخر، يقول سيبويه: إنَّما هو ليس مبنيًّا عليه. يعني أنت حين تقول: بعتُ متاعَك. ليس البناء على المتاع، وإنما قلت: بعت متاعك. وبدا لك أن تجعل الاسم الذي هو أسفل مكان متاعك، كما جعلت رأيت قومَك أكثرَهم، كأنك ثنيت، أو جعلت أكثرهم مكان قومك، فقلت: رأيت قومك أكثرهم، هكذا. يقول: لأن ما ذكرت بعده ليس مبنيًّا عليه؛ فيكون بنصب، يكون بفاء بأن مضمرة وجوبًا بعد فاء السببية. وإنما هو من نعت الفعل، زعمت أن بيعه أسفله كان قبل بيعه أعلاه.

مررت بمتاعِك بعضِهِ مرفوعًا:

ثم قال سيبويه: ومن ذلك -أي: ومن البدل- ولكن انتبه إلى الرفع والنصب، انتبه إلى مراد سيبويه، إنَّما هو يمضي معك كما يمضي النسيم، لكنه يتوقف فجأة؛ ليريك شيئًا آخر يريد وينوي أن يبينه لك، ومن ذلك قولك: مررت بمتاعك بعضِه مرفوعًا وبعضِه مطروحًا. قال: فهذا لا يكون مرفوعًا، انظر مررت بمتاعِك بعضِه مرفوعًا.

فلتتوهم أنه يقول: مررت بمتاعك بعضِه مرفوعًا وبعضه مطروحًا، فهذا لا يكون مرفوعًا. وتقول: إنه واضح؛ لأن متاعًا مجرور بالباء، ويعني سيبويه بالذي لا يكون مرفوع: كلمة بعضِه، مررت بمتاعك بعضِه مرفوع؛ لأنك لو قلت: مررت بمتاعك بعضِه مرفوعًا. لا يصلح، يقول: لأنك حملت النعت على المرور، يعني: مررت ببعض متاعك. يعني: حملت الكلام على المرور ولم تحمله على أن تصف المتاع، بعضه مرفوع؛ لأن الجمل بعد النكرات صفات، وبعضه مطروح؛ فجعلته حالًا وهي كلمة مرفوعًا وكلمة مطروحًا، ولم تجعله مبنيًّا على المبتدأ، وإن لم تجعله حالًا للمرور جاز الرفع، وإذا تقول: مررتُ بمتاعِك بعضُه مرفوعٌ. ومررت بمتاعك بعضُه مطروحٌ.

ألزمت الناس بعضهم بعضًا:

يقول: ومن هذا الباب: ألزمت الناس بعضَهم بعضًا. وخوفتُ الناسَ ضعيفَهم قويَّهم. فهذا معناه في الحديث: المعنى الذي في قولك: خاف الناس ضعيفُهم قويَّهم. وإعراب هذه الجملة هكذا: خاف: فعل ماض، والناس: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وضعيفُهم: بدل مرفوع، وهم مضاف إليه مبني في محل جر، وقويَّهم: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. أنت ماذا فعلت؟ قلت: خوفتُ الناس ضعيفَهم، أي: جعلت الفاعل في خاف الناس مفعولًا به في خوفت. تحول البناء هكذا، خاف الناسُ بعضُهم بعضًا، هو على الأصل الأصيل ضعيفُهم قويَّهم: خوفت الناسَ ضعيفَهم قويَّهم. خوفت: خوف: فعل ماض، والتاء: فاعل، والناس: مفعول به منصوب بالفتحة، وضعيفهم: بدل من الناس، والبدل من المنصوب منصوب، وقويَّهم: مفعول به، خوفت الناس ضعيفهم، قويَّهم. المعنى الأصلي: خاف الناسُ ضعيفهم قويهم. كذلك: لزم الناسُ بعضُهم بعضًا. قال سيبويه: ألزمتُ الناسَ بعضَهم بعضًا. كذلك: ألزمت الناس: من البدل، وبعضَهم: بدل من الناس، وبعضًا مفعولٌ به منصوب.

حمل الكلام على البدل والتوكيد:

إن سيبويه بعد أن ذكر صنوف من التراكيب، وقال: إن نحو قولك: خاف الناس ضعيفُهم قويَّهُم، إذا أردت أن تغير البناء من: خاف إلى خوَّف، وأن تعلم أن خوف فيها من الصرف درس "التضعيف" ومن النحو درس "التعدي واللزوم" فإن بناء "فَعَّلَ" يكون للتعدية، كما أن الهمزة تكون للتعدية كذلك، فأنت إذا عديتَ الفعل بالتضعيف وبنيته على بناء البدل الذي كان، راعيتَ ذلك الأصل الذي كان: خاف الناس فاعل، خوَّفت الناس صار الفاعل مفعولًا به، وصار المفعول به مفعولًا به ثانيًا، وهكذا مع مراعاة البدل، فأنتَ تقول: خوَّفت الناس ضعيفَهم قويَّهم مع مراعاة البدل.

إن قيل: حزَّنت قومك بعضهم أفضل من بعض، وأبكيتُ قومَك بعضهم أكرم من بعض، قال سيبويه: كان الرفع الوجه، لأن الآخِر هو الأول، ولم تجعله في موضع مفعول هو غير الأول، ثم بين فيه وجهًا آخر وهو النصب، يقول: وإن شئتَ نصبته على قولك: حزَّنت قومَك بعضهم قائمًا، وبعضهم قاعدًا، على الحال، وقائمًا إعرابه: حال، وقاعدًا إعرابه: حال، يقول سيبويه: لأنك قد تقول: رأيتُ قومَك أكثرهم، وأنا أنبهك أكثر من مرة إلى أن سيبويه يعود عودًا حميدًا إلى ما بدأ به، كأنه يريد أن يربطك بأصل الموضوع، وذلك حين قال في صدر الباب: إن قول القائل: رأيتُ قومَك أكثرَهم، كان يقصد: رأيت أكثرَ قومك، الآن سيبويه يقول: لأنك قد تقول: رأيتُ قومك أكثرهم، وحزَّنت قومك بعضهم، فإذا جاز هذا أَتْبَعْتَه ما يكون حالًا، وإن كان مما يتعدى إلى مفعولين أنفذته إليه، يعني: حققته وجعلته ناصبًا للمفعول الثاني، لأنه كأنه لم تذكر قبله شيئًا؛ فيه شيء من الاضطراب، يُتسامح في مثله.

كأنه أيضًا مما يزيد الاضطراب: رأيتُ قومك، وحزَّنت قومك، إلا إن أعربه -يعني: أفصحه- إذن أسألك: ما معنى أعربه في (كتاب سيبويه) الإعراب يأتي بمعنى البيان، ويأتي بمعنى الإفصاح، أَعْرَبَ عما في نفسه، أي: أفصح وأبان عما فيها، فإذن قولك: إلا أن أعربه، نقلًا عن سيبويه، أو قول سيبويه: إن أعربه وأكثره إذا كان الآخر هو الأول المبتدأ، وإن أجريته على النصب فهو عربي جيد، معنى ذلك: أن الأفصح وأن الأعلى وأن الأكثر إذا كان الآخر هو الأول أن يبتدى، يعني: أن يكون مبنيًّا عليه في الفداء، أو أن يكون الوجه فيه هو الرفع، وإن أجريته على النصب فهو عربي جيد.

وفي المثال الثاني: ضُرب زيدٌ الظهرُ والبطنُ، ومعنى هذا: أن ضرب: فعل ماض مبني للمجهول على الفتح، وزيد: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والظهر: بدل مرفوع؛ لأن زيد نائب فاعل والبطن كذلك: الواو حرف عطف، والبطن: معطوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

وقُلب عمرو ظهرُه وبطنُه، قلب: فعل ماض مبني للمجهول، وعمرو: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، ظهره: بدل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والواو: عاطفة، وبطن: معطوف مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

وأما المثال الذي ذكره سيبويه من قوله: "مُطرنا سهلُنا وجبلُنا" فهذا عند العلماء على أن معناه: مطرت أرضُنا، ومعنى مطرت أرضنا: مطر: فعل ماض مبني للمجهول -وطبعًا لا نقول مجهول، وإنما أمطرنا الله سبحانه وتعالى، وأمطر علينا- مطرت أرضنا: فأرض: نائب فاعل حذف، وجاء المضاف إليه وحل محله، فكأنَّ "نا" هي نائب فاعل على أن الأصل: مطرت أرضنا، سهلنا: أي سهل أرضنا، وجبلنا: أي جبل أرضنا على تقدير المضاف في الكلمات الثلاث، كأنك قلتَ: مطرت أرضُنا سهلُنا جبلُنا، وهذا كله راجع إلى سهل أرضنا، جبل أرضنا، وهكذا.

وكما قال: ضُرب زيدٌ الظهرُ، قال: ومُطرنا السهلُ والجبلُ، كأنه قال تمامًا بتمام، ومطرنا سهلنا وجبلنا، وإن شئتَ كان على الاسم بمنزلة أجمعين توكيدًا، أي: توكيدًا لعبد الله، وتوكيدًا لزيد، وهكذا.

حمل الكلام على نزع الخافض:

انظر، ماذا يقول سيبويه بعد: وإن شئت نصبتَ، ضُرب زيد الظهرَ والبطنَ، هكذا، ومطرنا السهلَ والجبلَ، وقلب زيد ظهرَه وبطنَه، والمعنى على النصب قضية من القضايا التي تستشعر خطورتها وأنت تقرؤها في (خصائص ابن جني) أو في (شرح التسهيل) لابن مالك، أو في عشرات الكتب، وبحوث الدوريات، وبحوث المؤلفين المعاصرين الذين لَمْ يتعرض أكثرهم إلى سيبويه من قريب أو من بعيد.

إن سيبويه ذكر لنا أننا نقول: ضرب زيدٌ أو عبد الله ظهرُه وبطنُه، وقال ذلك على البدل، ولم يعرب ولم يقل: ضرب زيد، زيد: نائب فاعل.

المهم أن قولنا: ضرب زيد ظهره وبطنه لا شيء فيها، لا صعوبة، ولا غضاضة، لا مشكلة، إنَّما القضية مكمنها في النصب، وذلك حين نقول: ضرب زيدٌ ظهرَه، وضرب زيد بطنَه على النصب، القضية في: مطرنا السهلَ والجبلَ، هذه القضية تسمَّى عند بعض العلماء "الحذف والإيصال" الحذف معناه: حذف حرف الجر، ويترتب على حذف حرف الجر أن يصل الفعل إلى ما بعد حرف الجر المحذوف، يعني: أن يصل الفعل مباشرة إلى المفعول به، والذي يسمى عند كثير من الناس بالنصب على نزع الخافض، الخافض: يعني الجار، والنصب على نزع الخافض معناه: أنك إذا نزعتَ الخافض - يعني: حذفت حرف الجر- انتصبَ ما بعده، قال جرير من الوافر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تمرون الديار ولم تعوجو | \* | كلامكم علي إذن حرام |

"تمرون الديار" أصلها: تمرون بالديار، فحذف الباء، فوصل الفعل مباشرة بلا واسطة إلى الديار، فانتصبت الديار، فقال جرير -وانتشر قوله، وطار-: "تمرون الديار ولم تعوجو" يعني: لم تمروا عليه، ولم تعرجوا عليَّ.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سائق الأظعان يطوي البيد طي | \* | منعم عرج على كثبان طي |

هذه السطور في (كتاب سيبويه) بتحقيق هارون، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب، في هذه السطور كل ما في بطون الكتب من ابن جني و(شرح التسهيل) وغيرها، ومن "التوسع اللغوي في ضوء الفكر الحديث" وغير الحديث، ضبطها سيبويه ضبطًا أغلى من كل المعاني، ولخصها تلخيصًا لا يستطيع أن يلخصها إلا هو.

الأمكنة وطن الحذف:

مطرنا السهلَ والجبلَ، المعنى: أنهم مطروا في السهل والجبل، وحُذفت "في"، فانتصب السهل، مطرنا السهلَ، الأصل: مطرنا في السهل، الذي تلحظه أن كلمة السهل تدل على المكان، من ثم سيبويه ربط بين قولنا: مطرنا السهل، وبين قولنا: دخلت الدار، وقال: إن الأصل فيها دخلت في الدار، فَلَمَّا حذفت "في" صار التعبير هكذا: دخلت الدار بنصب الدار، حذف حرف الجر فانتصب ما بعده على نزع الخافض.

هل يجوز أن تقول بالقياس عليها: أتيت، أو جئت، أو ذهبت عبد الله، ذهبت عبد الله بمعنى: ذهبت إلى عبد الله؟ هذا ما حرمه سيبويه؛ لأنه جعل المسألة مقصورة على الأمكنة، وأنا أقول بعبارة متواضعة تعقيبًا على ما قرأته في سيبويه: جعل سيبويه الأمكنة وطنًا للحذف، إذن الحذف والإيصال والتوسع اللغوي الكبير في ضوء الفكر النحوي الحديث وغير الحديث مستمد من (كتاب سيبويه) بالحرف والتلخيص.

لقد قرأتُ لبعض الباحثين عملًا، ووجدت أنه نقل نقولًا عن القدامى، وكتب عشرات الصفحات في هذه المسألة، وكأنه افتعل مسألة أو قضية خلافية، كأنه يرى أنه هناك من يقول بالقياس المطلق في الحذف والإيصال، ثم راح يصول ويجول، ويصف هذا كله بأنه فساد للغة وإفساد، وحاول أن يضبط المسألة، وهذا كله من صلب سيبويه، وهذه البحوث توهم بأن سيبويه لَمْ يتعرض للمسألة.

لو نظرنا نظرة جميلة في كتاب جميل هو كتاب (شرح التسهيل) لابن مالك، سنجد أن ابن مالك في (شرح التسهيل) قد نقل الكلام كله من (كتاب سيبويه) وإن لم يشِر إلى سيبويه، يعني: أَنَا لَمْ أجد له عبارة: رحم الله سيبويه، أو: وقال سيبويه.

يقول سيبويه: كما أجازوا قولهم: دخلت البيت، وإنَّما معناه: دخلت في البيت، والعامل فيه الفعل، وليست المنتصب ها هنا بمنزلة الظرف؛ لأنك لو قلتَ: قلب هو ظهرُه وبطنه وأنت تعني: على ظهره- لم يجُزْ، أي: لا يجوز أن تقول: قلب ظهرُه وأنت تعني على ظهره، لا يجوز لأن الحذف يقتضي النصب، قال سيبويه: ولم يجيزوه في غير السهل والجبل، والظهر والبطن.

كما لم يجز: دخلت عبد الله، يعني: لا يجوز أن تقول: دخلت عبد الله. وإنما معناه: دخلت في البيت، ولم يجيزوه في غير السهل والجبل والظهر والبطن، كما لم يجز: دخلت عبد الله، فجاز هذا في ذا -أي: في هذا وحدَه- كما لم يجز حذف حرف الجر إلا في الأماكن، وعبد الله ليس من الأماكن. واختُصت بهذا يعني سيبويه بقوله: واختصت بهذا الأماكن، كما أن "لدن" مع "غُدوة" لها حال ليست في غيرها من الأسماء، وكما أن "عسى" لها في قولهم: عسى الغوير أبؤسًا، يعني مثل، والأمثال لا تُغير، يعني: لا تقُلْ لي: عسى الفرج قريبًا، لكن عسى الفرج أن يكون قريبًا: {ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} [التوبة: 102] عسى أن تكرهوا شيئًا، لكن عسى الغوير أبؤسًا، يعني: أن يأتي الشر منه -وليس في الوقت اتساع لتناول المثل.

إنما يريد سيبويه أن يقول لنا: إن الأماكن قد اختُصت بحذف حرف الجر، فلا يقاس عليها غيرها.

ويقول ابن مالك في (شرح التسهيل): "ومن الاختصاص لَمْ تستعمل "لات" إلا في الحين" كما قال سيبويه في المثل، وكما قال في انتصاب "غدوة" بعد "لدن" وكما ذكر قبل ذلك ونبهتكم إليه في النصب بعد كم الاستفهامية. قال ابن مالك -عليه رحمة الله - ولم تستعمل "لات" إلا في الحين أو مرادفه، كقوله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ} [ص: 3] و"لات" تعمل عمل ليس، ومعموليها الحين، ولا بد من حذف أحدهما، والغالب أن يحذف اسمها، والدليل على ذلك هذه الآية من سورة ص: {ﭥ ﭦ ﭧ} أي: ولات الحينُ حينَ مَناص. وكقول الشاعر، وهو من الخفيف:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| غافل تعرب المنية للمرء | \* | فيدعى ولات تحين إباء |

هذا البيت الذي ذكره ابن مالك، الشاهد فيه: "ولات حين إباء": أي: ولات الحينُ حينَ إباء، ومعناه: أن المنية تعرض للمرء فتدعوه، ولا يستطيع الإباء، أي: أنه يستجيب إذا دعته المنية وهو غافل، ويا ليت المنية حين تدعونا، تدعونا ونحن للموت ذاكرون بالعمل، نعم، غافلًا تعرض المنية للمرء، فيدعى ولات حين إباء، قد يأبى الإنسان، ويرفض دعوة مَن يدعوه، ويقول معتذرًا: ورائي كذا وكذا، ولكن إذا دعته المنية.

ومثال إعمالها في مرادف الحين، قول رجل من طيئ، وهو من الكامل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ندم البغاة ولات ساعة مندم | \* | والبغي مرتع مبتغيه وخيم |

"ولات الساعة" أو لات الوقت ساعة مندم، "ساعة" ليست بلفظ حين، وإنَّما هي بمعناه، ومعنى هذا الذي ذكره ابن مالك: أن حين تختص بالعمل، أو يختص الحين بـ"لات" وتختص "لات" بالحين، هناك اختصاص، ويقول ابن مالك: وأنشد أبو الحسن الأخفش، وأبو زكريا الفراء، وهذا من الخفيف أيضًا:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| طلبوا صلحنا ولات أواني | \* | فأجبنا أن ليس حين بقاء |

أراد: ولاتَ أوان صلح، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وبَنَى "أواني" على الكسر؛ تشبيهًا بفاعل.

ثم يقول ابن مالك -يتأثر بسيبويه تمامًا، فيذكر دون نِسبة إلى سيبويه-: "الأصل ألا يحذف حرف الجر، فإن ورد حذفه وكثر، قبل، وقِيس عليه، وإن لم يكثر، قبل، ولَمْ يُقس عليه، وهذه قاعدة معروفة بأن الشاذ يحفظ، ولا يقاس عليه، ونحن نحفظه، والحِفظ ضرب من القبول، وإنما تحفظه حتى لا تقيس عليه، فَمِن الذي كثر قولهم: دخلت الدار -وهذا مثال سيبويه- والمسجد -أي: ودخلت المسجد- ونحو ذلك، فيقاس على هذا: دخلت البلد، ودخلت البيت، وغير ذلك من الأمكنة، وعبارة سيبويه إلا في الأماكن.

الأمر الذي ذكر فيه ابن مالك سيبويه أنه قال: ومذهب سيبويه أن الحذف يطّرد مع "أَنْ" و"أَنَّ" هذا هو الموضع الذي ذكر فيه الخليل في "أنَّ" و"أنْ" عند حذف الجر المطرد، حذفه أنهما في محل جر، ومذهب سيبويه أنهما في محل نصب، وهو الأصح، هذا هو الموضع الذي ذكر فيه ابن مالك في (شرح التسهيل) سيبويه، وقد علمتم أن الأمر قد طال بالنسبة إلى ابن مالك وبالنسبة إلى غيره، ولكنه عند سيبويه تستطيع أن تقول: مشفى مصفى، لا عِوجَ فيه، ولا أمتى.

قال سيبويه: ونظير هذا أيضًا في أنهم حذفوا حرف الجر ليس إلا قولهم: نُبِّئتُ زيد قال ذاك، إنَّما يريد: نبئت عن زيد، أي: أُخبرت، أو رَويت عنه، أو نُبئت عنه، إلا أن المعنى الأول معنى الأماكن، فإذن الأماكن في (الكتاب) في صفحة واحدة، هي في الأصل قد تكون بعض أسطر، أشار سيبويه إلى الحذف والإيصال، وذلك حين ذَكَرَ: وإن شئتَ نصبتَ تقول: ضرب زيدٌ الظهرَ والبطنَ، أي: ضرب على ظهره وضرب على بطنه، ومنه: مطرنا السهلَ والجبلَ، أي: مطرنا في السهلِ والجبلِ، فحذف حرف الجر، وإذ أردت أن تربط بين قوله: مطرنا السهلَ، وبين قوله: دخلت الدارَ، لَمْ تجد عناءً في ذلك؛ لأن الدار من الأماكن، ولأن السهل من الأماكن، ولأن الجبل من الأماكن، ولأن ظهر زيد مكان، ولأن بطن زيد مكان فيه، فكأن الأماكن واضحة.

والذي زاده ابن مالك في (شرح التسهيل): دخلت الدار، دخلت البيت، والبيت كالدار، والمسجد، تقول: دخلت المسجد، أي: دخلت في المسجد، وقد حذر سيبويه من أن يقاس على الأماكن، مثل: دخلت عبد الله، على أي شيء تفسر هذا المثال؟ تفسره على أنَّ معناه: دخلت على عبد الله، حذفتُ حرف الجر ونصبت عبد الله ولكن لماذا جاز: دخلت البيت، ولم يجز: دخلت عبد الله؟

والجواب: جاز دخلت الدار؛ لأن الدار مكان، وحذف الجر يكون مع الأماكن؛ ولأن عبد الله ليس بمكان، فلم يجز، هكذا تقول، وقد نص سيبويه أن الحذف يكون في الأماكن.

هذه هي الخلاصة، واختصاص الأماكن بالحذف كاختصاص نصب "غدوة" بعد "لدن" واختصاص وجود خبر عسى مفردًا منصوبًا في المَثَل، والمثلُ يحفظ ولا يغير، وذلك مثل: الصيف ضيعتي اللبنَ. يخاطب به الواحد والواحدة، والمثنى، والمجموع مذكرًا، والمجموع مؤنثًا، تقول لجماعة الذكور ولو كانوا ألفَ رجل وضيعوا فرصة كانت في أيديهم جميعًا: الصيفَ ضيعتِ اللبن.

كذلك المثل: عسى الغوير -تصغير الغار- أبؤسًا. قيل لها: انزلي الغار لَمَّا جاء الأعداء، فقالت- وهي الحكيمة: عسى الغوير أبؤسًا، يعني: عسى الغوير الذي أَخْتَبِئ فيه يأتي البؤس من قبله، فهذا مثل صار؛ فلا يغير ولا يقاس عليه؛ سيبويه يستطرد، والاستطراد النحوي عند سيبويه له مغزاه وله دلالته وله نتائجه.

قولهم: نبئت زيدًا قال ذاك، إنَّما يريد: نبئت عن زيد، إلا أن معنى الأول معنى الأماكن.

ثم قال: وزعم الخليل -رحمه الله- أنهم يقولون: مطرنا الزرعَ والضرعَ، الذي نقله سيبويه عن الخليل قال فيه: وإن شئتَ رفعتَ على البدل، فتقول: مطرنا الزرعَ والضرعَ، والزرع موضع ومكان، والضرع موضع من البهيمة، عبَّر بالضرع وأراد البهيمة التي رعت الكلأ، ورعت النباتات.

إذن البهائم ترعى، ويتسبب عن رعية انتفاخ ضرعها، وزيادة لبنها، مطرنا الزرعَ والضرعَ، ومطرنا السهلَ والجبلَ، كل ذلك من باب الاتساع على حذف حرف الجر، وكل ذلك محمول على البيت، وعلى الدار، دخلت البيت، دخلت الدار، معنى ذلك: أن البيت أصله: دخلت في البيت، مطرنا الزرع: مطرنا في الزرع.

كما قال: ((اللهم حوالينا ولا علينا)) يعني: حول يا ربنا ماء المطر إلى الزرع، إلى منابت الزرع، وإلى الوديان؛ لأن البيوت كادت تتهدم، والناس كادوا يموتون من شدة المطر.

مطرنا الزرعَ والضرعَ أي: مطرنا في الزرع والضرع، قال سيبويه: وإن شئتَ رفعته، فالرفع يكون على البدل، والنصب يكون على نزع الخافض، وكان النصب على نزع الخافض؛ لأنه محمول على الأماكن؛ لأنه مكان، صحيح الضرع ليس مكانًا ثابتًا كالدار، وإنما يتحرك مع البهيمة حيثما تحركت وأينما تحركت، لكنه مكان، كما قال سيبويه من قبل: ضرب ظهرُه وبطنُه، وضرب ظهرَه وبطنَه، يجوز الرفع ويجوز النصب، هذا هو النحو

فإن قال: ضرب زيدٌ اليدُ والرجلُ، جاز على أن يكون بدلًا، لكنه قال هنا: وإن نصبته لَمْ يحسن، لأنه آثر نفي الحسن؛ لأنه ليس مولع بالقبح كما يولع به كثير من الناس، يعبرون بالقبح كأن القبح عندهم أمر يسير، سيبويه لم يعبر بالقبح إلا في المواضع التي لا بد أن يعبر فيها بالقبح.

ضرب زيد اليدُ والرجلُ، جازت البدلية، ضرب: فعل ماض مبني للمجهول، وزيد: نائب فاعل، واليد: بدل مرفوع من زيد، قال: وإن نصبته لَمْ يحسن، لأن الفعل إنَّما أنفذ في هذه الأسماء خاصة إلى المنصوب إذا حذفتَ منه حرفَ الجر، إلا أن تسمع العرب تقول في غيره: وقد سمعناهم يقولون: مطرتهم -أي: السماء- لكن سيبويه لم يذكرها- ظهرًا وبطنًا، لكن أحد من العرب لم يقل: ضرب زيد اليدَ والرجلَ، على معنى: ضُرب زيد على اليد والرجل، مع أن اليد تشبه الظهر في المثال الذي ذكره، ولكن سيبويه يريد أن يقول لك: احذر، أن تحذف حرف الجر، أو تنوي حذفه، وأن تنصب ما بعده دون سماعك من العرب، وهو بذلك يحافظ على اللغة أي محافظة، وسبق الذين تشددوا، وخطبوا الخطب المنبرية في بحوثهم العلمية اللغوية، وقالوا: إن القياس مفسد للغة، ونحن حماة الذمار، ونحن أهل الديار، ويجب أن نصون لغتنا من عبث العابثين، يقول سيبويه: وتقول: مُطِرَ قومُك الليلَ والنهار، على الظرف، والظرف فيه واضح.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ